اركاب صغيرة من الصغاير فانها مكروهة عند الله وليست قادحة في ايمان المؤمن لانها تقع مكفرة وكذلك قد يعرض
العبد بان يريد عقابه نحو ان يكون فاسقا لم يتب ويحبط عملا من اعماله نحو ان يطيع بعض الطاعات ويحبه لتلك
الطاعة هي ارادته تعالى ان يسقط عنه بها بعض ما يستحقه من العقاب المتقدم الاصل واعلم ان لكل عمل نباتا
وكل نبات لا غنى به عن الماء والمياه مختلفة فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته وما خبث سقيه خبث
غرسه وامرت ثمرته الشرح السقي مصدر سقيت والسقي بالكسر النصيب من الماء وامر الشيء اي صار مرا وهذا
الكلام مثل في الاخلاص وضده وهو الرياء وحب السمعة فكل عمل يكون مدده الاخلاص ووجه الله تعالى لا غير فانه
زاك حلو الجنا وكل عمل يكون للرياء وحب الشهوة مدده فليس بزاك وتكون ثمرته مرة المذاق الاصل ومن خطبة له
عليه السلام يذكر فيها بديع خلقة الخفاش الحمد لله الذي انحسرت الاوصاف عن كنه معرفته وردعت عظمته العقول
فلم تجد مساغا الى بلوغ غاية ملكوته هو الله الحق المبين احق وابين مما ترى العيون لم تبلغه العقول بتحديد فيكون
مشبها ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون ممثلا خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير ولا معونة معين فتم
خلقه بامره واذعن لطاعته فاجاب ولم يدافع وانقاد ولم ينازع ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما ارانا
من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل حي
وكيف عشيت اعينها عن ان تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدي به في مذاهبها وتتصل بعلانية برهان الشمس
الى معارفها وردعها بتلألؤ ضيائها عن المضي في سبحات اشراقها واكنها في مكامنها عن الذهاب في بلج
ائتلاقها فهي مسدلة الجفون بالنهار على حداقها وجاعلة الليل سراجا تستدل به في التماس ارزاقها فلا يرد
ابصارها اسداف ظلمته ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته فاذا القت الشمس قناعها وبدت اوضاح نهارها ودخل
من اشراق نورها على الضباب في وجارها اطبقت الاجفان على مآقيها وتبلغت بما اكتسبته من المعاش في
ظلم لياليها فسبحان من جعل الليل لها نهارا ومعاشا والنهار سكنا وقرارا وجعل لها اجنحة من لحمها تعرج بها عند
الحاجة الى الطيران كانها شظايا الآذان غير ذوات ريش ولا قصب الا انك ترى مواضع العروق بينة اعلاما لها
جناحان لما يرقا فينشقا ولم يغلظا فيثقلا تطير وولدها لاصق بها لاجئ اليها يقع اذا وقعت ويرتفع اذا ارتفعت
لا يفارقها حتى تشتد اركانه ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه فسبحان البارئ لكل
شيء على غير مثال خلا من غيره الشرح الخفاش واحد وجمعه خفافيش وهو هذا الطائر الذي يطير ليلا ولا يطير نهارا
وهو مأخوذ من الخفش وهو ضعف في البصر خلقة والرجل اخفش وقد يكون علة وهو الذي يبصر بالليل لا بالنهار او في
يوم غيم لا في يوم صحو وانحسرت الاوصاف كلت واعيت وردعت كفت والمساغ المسلك قال احق وابين مما ترى
العيون وذلك لان العلوم العقلية اذا كانت ضرورية او قريبة من الضرورية كانت اوثق من المحسوسات لان الحس
يغلط دائما فيرى الكبير صغيرا كالبعيد والصغير كبيرا كالعنبة في الماء ترى كالاجاصة ويرى الساكن متحركا كالجرف الشط
اذا راه راكب السفينة متصاعدا ويرى المتحرك ساكنا كالظل الى غير ذلك من الاغاليط والقضايا العقلية الموثوق
بها لانها بديهية او تكاد فالغلط غير داخل عليها قوله يقبضها الضياء اي يقبض اعينها قوله وتتصل بعلانية برهان
الشمس كلام جيد في مذاهب الاستعارة وسبحات اشراقها جلاله وبهاؤه واكنها سترها وبلج ائتلاقها جمع بلجة وهي
اول الصبح وجاء بلجة ايضا بالفتح والحداق جمع حدقة العين والاسداف مصدر اسدف الليل اظلم وغسق الدجنة
ظلام الليل فاذا القت الشمس قناعها اي سفرت عن وجهها واشرقت والاوضاح جمع وضح وهو الضوء والبياض وقد يراد
به حلي يعمل في الدراهم الصحاح وقد يراد به الدراهم الصحاح نفسها وان لم يكن حليا والضباب جمع ضب ووجارها
بيتها وشظايا الآذان اقطاع منها والقصب هنا الغضروف وخلاصة الخطبة التعجب من اعين الخفافيش التي تبصر ليلا
ولا تبصر نهارا وكل الحيوانات بخلاف ذلك فقد صار الليل لها معاشا والنهار لها سكنا بعكس الحال فيما عداها ثم من
اجنحتها التي تطير بها وهي لحم لا ريش عليه ولا غضروف وليست رقيقة فتنشق ولا كثيفة فتثقلها عن الطيران ترى من ولدها

اذا طارت احتملته وهو لاصق بها فاذا وقعت وقع ملتصقا بها هكذا الى ان يشتد ويقوى على النهوض فيفارقها واعلم
انه قد اتى بالعلة الطبيعية في عدم ابصارها نهارا وهو انفعال حاسة بصرها عن الضوء الشديد وقد يعرض مثل ذلك لبعض
الناس وهو المرض المسمى روزكور اي اعمى النهار ويكون ذلك عن افراط التحلل في الروح النوري فاذا لقي حر النهار اصابه قمر ثم
يستدرك ذلك برد الليل فيزول فيعود الابصار واما طيرانها من غير ريش فانه ليس بذلك الطيران الشديد وانما هو
نهوض وخفة افادها الله تعالى اياه بواسطة الطبيعة والتصاق الولد بها لانها تضمه اليها بالطبع وينضم هو اليها كذلك
وتستعين على ضمه برجليها وبقصر المسافة وحمله كالامر انه يعجب من عجيب وفي الاحاديث العامية قيل للخفاش لماذا لا جناح
لك قال لاني تصوير مخلوق قيل فلماذا لا تخرج نهارا قال حياء من الطيور يعنون ان المسيح عليه السلام صوره وان اليه الاشارة
بقوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فيكون طيرا باذني وفي الطير عجائب وغرائب لا تهتدي العقول
اليها ويقال ان ضربين من الحيوان اصمان لا يسمعان وهما النعام والافاعي ويقول العرب ان الظليم يسمع بعينيه وانفه
لا يحتاج معهما الى حاسة اخرى والكراكي يجمعها امير لها كيعسوب النحل ولا تجمعها الا ازواجا والعصافير الفة للناس انسة
بهم لا تسكن دارا حتى يسكنها انسان ومتى سكنتها لم تقم فيها اذا خرج الانسان منها فبفراقه تفارق وبسكناه تسكن
ويذكر اهل البصرة انه اذا كان زمن الخروج الى البساتين لم يبق في البصرة عصفور الا خرج اليها الا ما اقام على بيضه او فراخه
وقد يدرب العصفور فيستجيب من المكان البعيد ويرجع وقال شيخنا ابو عثمان بلغني انه درب فرجع من ميل و
ليس في الارض راس اشبه براس الحية من راس العصفور وليس في الحيوان الذي يعايش الناس اقصر عمرا منه قيل لاجل
السفاد الذي يستكثر منه ويتميز الذكر من الانثى في العصافير تميز الديك من الدجاجة لان له لحية ولا لحية لها و
منه واذا عرض له شيء صاح فاقبلت اليه العصافير تساعده وليس في مثل جسم العصفور شدة وطير اذا كنت تحت السطح
ووقع حيث وقعته وقعة حجر وذكورة العصافير لا تعيش الا سنة وكثيرا ما تجلب الحيات الى المنازل لان الحيات تتبعها
حرصا على ابتلاع بيضها وفراخها ويقال ان الدجاجة اذا باضت بيضتين في يوم واحد وتكرر ذلك ماتت واذا هرمت الدجاجة
لم يكن لاواخر بيضها صفرة واذا لم يكن للبيضة مح لم يخلق فيها فروج لان غذاءه المح ما دام في البيضة وقد يكون للبيضة محان
فينفقص عن فرخين يخلقان من البياض ويغتذيان بالمحين لان الفراريج تخلق من البياض وتغتذي بالصفرة وكل ديك
فانه يلتقط الحبة فيحذف بها الى الدجاجة سماحا وايثارا ولهذا قالوا اسمح من لاقطة يعنون الديك الا ديكة مرو بخراسان
فانها تطرد دجاجها عن الحب وتنزعه من افواهها فتبتلعه والحمامة بلهاء في امثالهم احمق من حمامة وهي مع حمقها
مهتدية الى مصالح نفسها وفراخها قال ابن الاعرابي قلت لشيخ من العرب من علمك هذا قال علمني الذي علم الحمامة على بلهها
تقليب بيضها كي تعطي الوجهين جميعا نصيبهما من الحضن والهداية في الحمام لا يكون الا في الخضر والسمر فاما الاسود الشديد
السواد فهو كالزنجي القليل المعرفة والابيض ضعيف القوة واذا خرج الحوول عن بيضته علم ابواه ان حلقه لا يتسع للغذاء فلا
يكون لهما هم الا ان ينفخا في حلقه الريح لتتسع حوصلته بعد التحامها ثم يعلمان انه لا يحتمل في اول اغتذائه ان يزق بالطعم
فيزقانه باللعاب المختلطة بقواهما وقوى الطعم ثم يعلمان ان حوصلته تحتاج الى دباغ فيأكلان من شورج اصول الحيطان
وهو شيء من الملح الخالص والتراب فيزقانه به فاذا علما انه قد اندبغ زقاه بالحب الذي قد غب في حواصلهما ثم بالذي
هو اطرا فاطرا حتى يتعود فاذا علما انه قد اطاق اللقط منعاه بعض المنع ليحتاج ويتشوف فيطلبه نفسه ويحرص عليه
فاذا اطعماه وبلغا منتهى حاجته اليهما نزع الله تلك الرحمة منهما واقبلا على طلب نسل آخر ويقال ان الحية اكلت بيض
مكاء فجعل المكاء يشرشر على راسها ويدنو منها حتى دلعت الحية لسانها وفتحت فاها تريده وتهم به فالقى فيها حسكة
فاخذت بحلقها حتى ماتت ومن دعا الصالحين يا رازق النعاب في عشه وذلك ان الغراب اذا فقص عن فراخه فقص
عنها بيض الالوان فينفر عنها ولا يزقها فتفتح افواهها فياتيها ذباب يتساقط في افواهها فيكون غذاءها الى ان تسود
فينقطع الذباب عنها ويعود الغراب اليها فيأنس بها ويغذيها والحبارى تدنو جناح الصقر بذرقها ثم تجمع عليه الحبارات
فينتف ريشه طاقة طاقة حتى يموت ولذلك يحاول الحبارى العلو عليه ويحاول هو العلو عليها ولا يجاريان دونها

Copyright